

أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَالْأَحْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوْلُلَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَا لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرْثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [١] ”فالثُّنُونُ والميمُ هما ما يعطيان للنغم الموسيقيّ وقعًا.

ويطلعنا القرآن الكريم في سورة النحل قول المولى تبارك وتعالى : «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأَنْتَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [٢] ». إذ تبين الآية المباركة هؤلاء القوم وما أصابهم من الغمّ والهم بسبب ما رزقهم الله تعالى من البناء. ويظهر صوت الميم الأغنّ ، أنين الرجل الذي انعكس ما بداخله على الوجه ، فاسود وأكهر [٣] وجاءت كلمة ”يتوارى“ تبين أنّ هذا الرجل يصارع ، لأن يخفى ما نزل به من غمّ ، مما يعتقد أنه فاضحه؛ وهو ما تومي إليه [٤] أيمسكيه على هون حيرة بعد الفضيحة ، أيحفظها على كراهة وغبن ، وهم وهون ، أو يدفنها حية؟ [٥] ”

خامساً : دلالة أصوات التكرار

التكرار) [٦] التكرير: (هو اهتزاز أسلة اللسان عند النطق بالصوت) ولا يمكن أو يتولد الصوت إلا بهذا التكرار [٧]. ويعد التكرار صفة خاصة بحرف الراء [٨] ، لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنایا العليا يتكرّر في النطق بها كأنما ، يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقاً ليّنا يسيراً مرتين أو ثلاث لت تكون الراء العربية [٩] التي تتكرّر بدون انقطاع بل تجري مجرى الحرف الواحد [١٠] ” قال مكي ”والراء حرف قوي للتكرير الذي فيه... يجري معه النفس لانحرافه إلى الألم، وللتكرير الذي فيه، فذلك قدر الرخاوة التي فيه... والتكرير: هو ارتعاد طرف اللسان بالراء مكرراً لها، فإخفاء ذلك التكرير لا بد منه... وإذا تكررت الراء، والأولى مشددة أو مخففة وجب التحفظ على إظهارهما وإخفاء التكرير. [١١] ”

يتّخذ النظم القرآني أحياناً من الصوت المتكرّر وسيلة لتصوير المعنى وتجسيمه ، والإيحاء بما يدلّ عليه ، معتمداً في ذلك على ما تتمتّع به الأصوات من خصائص وصفات في الجرس والنغم ، فهي تشيع بجرسها الصوتيّ نغمًا يُسهم في إبراز المعنى المراد. لتأمل النغم المنبعث من الجرس الصوتي لحرف السين في قوله

تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ .

حرف السين الذي تكرر في هذه السورة ، صوت صامت مهموس لثويٌّ [“احتاكيّ، تلتقي الأسنان السفلية بالأسنان العليا عند النطق به ولا يمكن للإنسان أن ينطق به وهو مفتوح الفم ، وهو أدلّ بجرسه الصوتي الاحتاكي الهامس على تصوير حالة الهمس الخفي التي يخافت بها أهل الجرائم والمكائد ، وبذلك يصور جرس الأصوات جوّ الوسوسة وما يفعله الشيطان حين يلقي في روع الإنسان ما يزيّن له ارتكاب المعاصي ، وقد أسمهم صوت الصاد الذي يشبه صوت السين في صفتة وجرسه على زيادة النغم الموحي بالمعنى.]

تكثر مطابقة دلالة التكرار ، لما يوافق معناه ، وهو ما يوحيه صوت الراء المكرر ، ومن ذاك قول المولى عزوجل في سورة فصلت : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا
فِي أَيَّامِ نَّحْسَاتٍ﴾ [“إذ دلّ تكرار الراء على ما تتسبب به الرّيح الباردة من أذى نفسي وجسي”] ، فكان التكرار وظيفة معنوية تعبيرية ودللت إيقاعاته على ما ناسب السياق من هول وشدة في العذاب.

وجاء أيضافي قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لَمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ
سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغْيِطًا وَرَفِيرًا وَإِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا
مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبورًا لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبورًا كَثِيرًا﴾ [“إذ تصور الآي مشهدًا للقيامة وتعظم هوله ، الذي ينتظر المغالين المكذبين ، نار لا يتوقف اشتعالها ولا يهدأ تغطيتها ولا يكتتم زفيرها ، وتصور حال هؤلاء وهم يرددون طلب الإهلاك ويكررون له لعله ينقذهم من هذا البلاء النازل بهم في جانب عليهم بأن يزيدوا في ذلك قدر تكرارهم عمل المنكر.”]

ونظيره ماجاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوَرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِّرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ
رُوَجَّثُوا إِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحْفُ نُشِّرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ
كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ [“هذه الآيات تتحدث عن الأهوال العظيمة ليوم القيمة ، فالشمس التي لفت كما تلتف العمامة وتجمع ويدهب ضوءها ويرمى بها فتسقط”] ، والنجوم التي تناثرت وتهافت وسقطت ، والجبال التي أزيلت عن أماكنها من الأرض وسیرت في الهواء [“] والوحش التي تجمع من كل جانب ، والبحار التي فاضت وقد أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحرًا واحدًا ، وجعلت مياهها نيرًا يعذّب أهل النار بها [“] ، والصحف التي تنشر فيعطي كلّ إنسان كتابه بيمينه أو

شماله على قدر عمله [١] “فهذه التحركات المستمرة العجيبة التي ستحدث للكون تثير في النفس الهلع ولاسيما إذا شاهدتها الإنسان بنفسه ، وفي هذا تناسب رائع مع صفة حرف الراء الذي تتبع في نقطه طرقات اللسان على اللّه تتابعًا سريعاً يصور إبداع تصوير هذه الأحداث والحركات المستمرة في الكون ، يساعد في ذلك صوت النّاء الذي تكرّر عدّة مرات ، و المناسبة تأتي من صفتـه الانفجاريـة وذلك بسبـب اتصـال أول اللسان بأصول الثنـايا اتصـالاً تاماً لا يسمـح للهواء بالمرور ثم ينفصل فهو صوت انفجاري شـديد.

سادساً : دلالة أصوات القلقـلة:

القلقـلة: اضطراب اللسان عند النـطق بالحرف حتـى يسمع له نبرة قـوية خصوصـاً إذا كان ساكـناً و حروفـها خـمسـة مـجمـوعـة في (قطـب جـدـ) ويـقـابلـها عندـ المـحدثـين ما يـسمـيـ بالـانـفـجـارـ ، و تـسمـيـ مـُـقـلـفـةـ لـاـضـطـرـابـ اللـاسـانـ فـيـ الـظـمـ عندـ النـطـقـ بهاـ حتـىـ يـسـمعـ لهـ نـبرـةـ قـوـيـةـ دونـ غـيرـهاـ مـنـ حـرـوفـ [١]ـ وـ هيـ حـرـوفـ مـُـشـرـبـةـ فـيـ مـخـارـجـهاـ إـلـأـ آـنـهـاـ تـضـغـطـ ضـغـطاـ شـدـيدـاـ،ـ إـنـ لـهـ أـصـوـاتـاـ كـالـحـرـكـاتـ،ـ تـتـقـلـلـ عـنـ خـرـوجـهاـ أيـ تـضـطـربـ،ـ وـ لـهـ سـمـيـتـ حـرـوفـ القـلـفـلـةـ [١]ـ ”

إنـ سـمـاعـ النـبـرـةـ القـوـيـةـ النـاتـجـةـ عـنـ اضـطـرـابـ القـلـفـلـةـ عـنـ مـخـارـجـهاـ حـينـ النـطـقـ بهاـ ،ـ يـوحـيـ إـلـىـ مـوـاطـنـ الدـلـالـةـ ،ـ وـ يـتـضـحـ هـذـاـ فـيـ قـولـهـ تـعـالـىـ:ـ (وـمـاـ لـنـاـ لـأـ نـؤـمـنـ بـإـلـلـهـ وـمـاـ جـاءـنـاـ مـنـ الـحـقـ وـنـطـمـعـ أـنـ يـدـخـلـنـاـ رـبـنـاـ مـعـ الـقـوـمـ الصـالـحـينـ)ـ [١]ـ ”لـمـ يـكـفـ هـؤـلـاءـ الـقـوـمـ بـتـعـبـيرـ الـدـمـعـ فـيـطـمـعـونـ وـكـلـهـمـ ثـقـةـ ،ـ أـنـ يـنـهـلـوـاـ مـنـ الـحـقـ ،ـ إـيمـانـاـ بـهـ ،ـ وـإـذـعـانـاـ بـسـلـطـانـهـ بـنـبـرـةـ قـوـيـةـ عـمـيقـةـ صـرـيـحةـ مـشـفـقـةـ رـاجـيـةـ مـنـ رـبـهـاـ أـنـ يـدـخـلـهـاـ فـيـ الـصـالـحـينـ)ـ [٢]ـ ،ـ وـيـتـرـاءـىـ أـنـ القـلـفـلـةـ ،ـ قـدـ وـافـقـتـ مـوقـفـ صـلـابـةـ الإـيمـانـ بـمـعـرـفـةـ الـحـقـ.

وـ جاءـ وـقـعـ القـلـفـلـةـ أـيـضاـ فـيـ قـولـهـ تـعـالـىـ:ـ (وـجـاءـتـ سـكـرـةـ الـمـوـتـ بـالـحـقـ)ـ [٣]ـ ”إـذـ تـدلـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ عـلـىـ أـنـ الـمـوـتـ وـهـ لـهـ ،ـ مـنـ نـزـعـاتـهـ وـشـهـقـاتـهـ ،ـ وـسـعـادـتـهـ ،ـ وـشـقـائـهـ أـقـوىـ مـنـ مشـاهـدـ الـكـوـنـ وـالـبـعـثـ وـغـيرـهـاـ)ـ ،ـ إـذـ تـظـهـرـ قـوـةـ القـلـفـلـةـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ ،ـ وـقـدـ خـدـمـتـ الـجـيـمـ الشـدـدـةـ وـالـصـلـابـةـ فـيـ قـلـقـلـتـهـاـ.

وـ يـنـكـنـتـنـاـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ مـاجـاءـ فـيـ قـولـ الـمـوـلـىـ تـبارـكـ وـتـعـالـىـ:ـ (وـالـسـمـاءـ ذـاتـ الـبـرـوجـ وـالـبـيـومـ الـمـؤـعـودـ وـشـاهـدـ وـمـشـهـودـ فـتـلـ أـصـحـابـ الـأـخـدـودـ النـارـ ذـاتـ الـوـفـودـ إـذـ هـمـ عـلـيـهـاـ قـعـودـ وـهـمـ عـلـىـ مـاـ يـفـعـلـونـ بـالـمـؤـمـنـينـ شـهـودـ وـمـاـ نـقـمـواـ مـنـهـمـ إـلـأـ أـنـ يـؤـمـنـواـ بـإـلـلـهـ الـعـزـيزـ الـحـمـيدـ الـذـيـ لـهـ مـلـكـ الـسـمـاءـاتـ وـالـأـرـضـ وـالـلـهـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ شـهـيدـ إـنـ الـذـينـ فـتـنـواـ الـمـؤـمـنـينـ وـالـمـؤـمـنـاتـ ثـمـ لـمـ يـتـبـوـواـ فـلـهـمـ عـذـابـ جـهـنـمـ وـلـهـمـ عـذـابـ

الحريق ﴿٤﴾ ”قد ابتدأت السورة الكريمة بالقسم وأبراجها ويوم القيمة ، فهي أيام استعرض فيها جانبًا من حال هؤلاء المؤمنين حين الامتحان الأكبر وشهادة الله عزوجل في ذلك [١]“

وتبيّن من خلال هذه السورة توافر القوّة في صوت القاف، وهو أصل القلقلة ، الذي ضمّته الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيق﴾ أي أحرقوا المؤمنين والمؤمنات ، يُقال فتنت الشيء ، أحرقته ، والفتين حجارة سود كأنّها محرقة“

ولكن لابد أن يكون الجزاء من جنس العمل ، إذ قابل التعبير القرآني حرق أصحاب الأخدود الذي هو من عمل الخلق ، بحرق جهنّم ، وهو ومن الخالق ، ولا وجه للمقارنة ، كما أنّ عذاب الفتنة عند هؤلاء القوم أقلّ حدة ، من عذاب إحراقهم المؤمنين . [٢]”لذا كانت القاف أكثر دلالة على القرع والعِقاب فاخر عند طرف الآية.

ومثيله ماجاء في سورة المسد ، قوله تبارك تعالى: ﴿تَبَّثْ يَدَا أَيِّ لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سِيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَأَمْرَأُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَسَدٍ﴾ [٣] إذ توالت الفواصل الأولى بالباء صوتاً لها ، والتي تُوحى إلى ذلك الشدّ ، و ذلك التعنيف شبيه بشدة تبات أبي لهب ، الذي جمع المال والكسب.

أوشدّ اللهب الملقي في طريق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يحرّضان الناس عليها ، أوشدة اللهب جهنّم و مصيرها ، أو شدة الحطب الذي كانت تحمله أم جميل . [٤]”و لكن صوت الفاصلة الأخيرة خالف الأول ، ولم يكن للتعبير القرآني ليغير النغم ، بتغيير صوت الفاصلة ، دون أن يكون هناك مؤشر الدلالة ، فالدلال عند رأس الآية الأخيرة يُوحى إلى أن الشدّ أوقع عذاباً على أم جميل أكثر من بعلها لأنّها رأس الفتنة لذا بلغ القرع منتهاه . [٥]

وجاء في سورة الانشقاق قول تعالى: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّقَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالنَّمَرِ إِذَا اسْسَقَ لَتَرْكَبُنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقِي﴾ [٦]

الشقق : هو الحمرة التي تشاهد في الأفق الغربي بعد الغروب ، وأصله رقة الشيء ، ويقال ثوب شفق : أي لا يتلامس لرقته ، ومنه أشدق عليه : أي رق له قلبه [٧] ، ووسق : جمع ، واتسق : استوى ، وطبقاً عن طبق : حال عن حال . [٨]

وقد جيء بصوت القاف وهو صوت شديد مقلق ، في معرض القسم بمظاهر كونية على تقلب الإنسان في أحوال شتى ، وانقاله من حال إلى حال ، واضطراب القاف

و تقلقه فيه دلالة التقلب في هذه الكائنات ومنها الإنسان، وتحول الناس بعد الموت إلى حين مصيرهم، إما إلى الجنة وإما إلى النار. [١]

سابعاً : دلالة أصوات الإخفاء.

الإخفاء : هو النطق بالصوت بصفة بين الإظهار والإدغام عار عن التشديد مع بقاء الغنة في الصوت الأول. [٢]

فمن ذلك لفظة) وسوس (في قوله تعالى: ﴿فَوَسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبَدِّيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْأَتِهِمَا﴾ [٣] إذ قال أبو السعود : "أي : فعل الوسوسة لأجلهما ، أو تكلم لهما كلاماً خفيّاً متداركاً متكرراً ، وهي في الأصل : الصوت الخفيّ ، كالهينمة ، والخشبة . ومنه وسوسة الحلي [٤] فكانه أراد أنّ ما في صوت السين من الخفاء والهمس قد ساعد على إدراك هذه الوسوسة الخفية المتكررة ، الصادرة من إبليس (لعنه الله) لأبويينا آدم وحواء (عليهما السلام).

والهمس هو الصوت الخفيّ، هو من صفات (السين) يتم النطق به من دون فتح الفم . [٥] وقد ورد صوت (السين) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، جاءت في سياقٍ يتبيّن فيه معنى الخفاء أو فيه حديث عن حالات نفسية خفية ، وفيها همس وهدوء ، كما في قوله تعالى : ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ [٦] ومن ذلك لفظة (حسيسها) في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَىْتُ أَنْفُسُهُمْ حَالِدُونَ﴾ [٧] وقد تعرض أبو السعود إلى هذه اللفظة ، قائلاً:

"الحسيس صوت يحسُّ ، أي لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً ، كما هو المعهود عند كون المصوّت بعيداً ، وإن كان صوته في غاية الشدة ، لا أنّهم يسمعون صوتها الخفيّ في نفسه فقط . [٨] وكأنه تنبّه إلى إيحائية السين الدالة على الخفاء ، فأهل الجنة لا يسمعون - بإرادة الله ، عزّ وعلا - من صوت زفير جهنّم شيئاً ، حتى الحسيس من صوتها لا يسمعونه ، وهو الصوت الخفيّ الذي لا يحسُّ به ، إنّما هو من خفايا النفس . وقد أشار ابن جنّي إلى ذلك حين قال : فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشّمة ، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس ، وإن لم تره العين . [٩] فصوت السين هنا قد تناسب وطبيعة الموقف ، وساعد على تجلية المعنى .

ومثلها قول هود عليه السلام لقومه ، قال سبحانه وتعالى : ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَاهُ لُونَتِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَإِنَّتَنَّظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [١٠] إنّ من يعبد أصناماً من دون الله

يُعدّ كافرًا، والكفر: التغطية والستر. قال ابن منظور: "كفر الشيء: غطاء وستره [أ]." فكان عبادة هذه الأصنام غطّت على القلب بزيادة الكفر فأخفته وستره [ب].

أخفاه وستره عن رؤية الحقيقة وهي بطلان عبادته وخفاء مشروعٍ لها، فالخفاء ناسب للإخفاء.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ثُوِيدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْعُونَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الإخفاء في التنوين بعد فاء في] (قليلًا فكثركم) ، وقيل: (كنتم فقراء فأغناكم) (ثم إن القلة في العدد أو المال تجعل الإنسان يتخفى من الظهور، أو أنه يكون خافياً عن الأنظار لا يؤبه له، أمّا كثير المال كثير العدد فإنه لا يكون خافياً بل ظاهراً معروفاً).